تاج محل

مقابر شاه جهان وممتاز محل

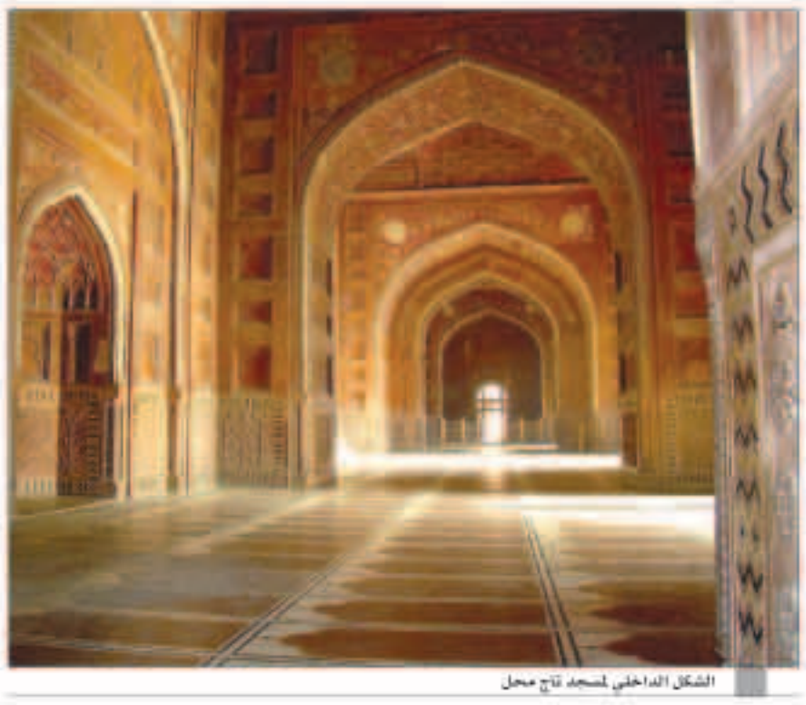
الشكل الداخلي لمسجد تاج محل

### يزوره مالا يقل عن ثلاثة ملايين شخص سنوياً

# تاج محل .. قصة حب أسطورية خالدة عبر الزمن

الشكل الخارجي للمسجد

ربما تكون وقائع ورومانسيات قيس وليلى أو روميو وجوليت أو نبوخذ نصر الذي بنى حدائق بابل المعلقة في العراق تكريما لزوجته، هي الأكثر شهرة من غيرها، الا أن ذلك لا يعني تفردها في الاخلاص والوفاء والتضحية، بل هناك ابداعات اخرى لا تقل اهمية عن تلك.

إنها حياة امراة ضربت أروع الأمثلة على الوفاء والاخلاص فتفتحت لها ابواب التاريخ الواسعة واصبحت سيرتها على كل لسان وصار ضريحها إحدى عجائب الدنيا السبع هي المراة الهندية المسلمة التي رفعت من شان نساء العالم في ذلك الوقت واثبتت ان العقل والعاطفة والعمل خطوط متساوية لا تناقض فيها على الإطلاق.

ومن روعة وتفرد هذا المكان الذي يقصده مالا يقل عن ثلاثة ملايين شخص سنويا من داخل وخارج الهند ، تغنى به العديد من الشعراء مثل طاغور فيما وصف الشاعر الانكليزي المستير«ادوين ارنولد» تاج محل بقوله الشهير: هي ليست قطعة معمارية كغيرها من الابنية ولكنها رغبات امبراطور تعكس حب امبراطور سام كتبت باحجار حية

#### أعراق وجذور

وتعني كلمة تاج محل «قصر التاج» فيما لا تعرف حتى الآن اصل تسمية القصر بتاج محل ، لان المؤرخين من عهد شاه كانوا يطلقون عليه «روزا» ممتاز محل اي ضريح ممتاز محل.

وفيما بعد شاع اسم تاج محل وبترجم على انه قصر التاج او تاج القصر. وتعود جذور قصة بناء تاج محل الى زواج شاه جيهان الذي كان يعرف وقتها باسم الامير خرام وصار فيما بعد الامبراطور المغولي الخامس، واسمه شهاب الدين من تاج محل واسمها الحقيقي هو ارجمند بانو بيجام بنت آصف خان رئيس التشريفات في القصر الملكي التابع للملك جيهانكير سلطان المغول المسلمين في منطقة اجرا عاصمة الهند في ذلك الوقت، ووالدها آصف خان كان شقيقا لنور جيهان زوجة السلطان،

وكان في تقليد المغول النساء المهمات في العائلة المالكة يمنحن اسماء اخرى عند الزواج وفي بعض الاحداث المهمة في حياتهن وبعد ذلك يشيع الاسم الجديد ويصير مستخدما من قبل الناس عامة.

#### قصة حب حقيقية

وعلى الرغم من ان هذا الزواج كان الثاني لشاه الا انه كان نابعا من قصة حب حقيقية وتجربة عاطفية سامية. وكانت ممتاز رفيقة دائمة لزوجها لا تتركه في كل رحلاته وسفرياته وجولاته وزياراته ومهماته العسكرية بل ومستشارته وصديقته وكانت الدافع القوي لقيامه بالكثير من اعمال الخير والبر وخصوصا مع الضعفاء والفقراء والمحتاجين.

وانجبت ممتاز من شاه اربعة عشر ولدا وماتت على فراش الولادة في العام 1630 بعد ثلاث سنوات من خلعه من العرش في بورهانبور في ديسان عندما كانت ترافقه في حملة عسكرية وعندما عاد الى السلطة اعتزم شاه ان يخلد ذكرى زوجته وقرر بناء التاج.

وكان حب شاه لزوجته هو السبب في ابداع «تاج محل» وكان للظروف الحزينة التي اعقبت موت الامبراطورة اعمق الوقع وابلغ الاثر في إلهام الامبراطور لتشييد هذا القصر الكبير الذي اقامه في اجرا عاصمة حكم المغول.

ولم يكن غريبا بناء تاريخ تاج محل في مدينة اجرا عاصمة الامبراطور المغولي خلال القرن السادس عشر واوائل القرن الثامن عشر التي تبعد نحو ساعة عن دلهي الجديدة بالسيارة حيث تنتشر في المدينة القلاع الجميلة ذات الاحجار الحمراء التي قام ببنائها الاباطرة المغول.

#### وعود

وكان بناء تاج محل مشروط بتنفيذ اربعة اشياء طلبتها ممتاز من زوجها بعد موتها وتعكس جميعها مدى الحب وعمق الشعور التي كانت تكنه له، وتتمثل في: أن يبني تاج محل، ان يتزوج بعدها، ان يحسن معاملة ابنائه، ان يقوم بزيارة الضريح في الذكرى السنوية لوفاتها. ولكن في الواقع لم يستطع الامبراطور شاه الوفاء الا بالوعدين الأول والثاني.

وعندما انتقل لمدة ثماني سنوات توفي في آخرها في القلعة الحمراء الكبيرة التي تقع قبالة تاج محل كان ينظر يوميا الى هذا الصرح الخالد ولا يتحسر على زوال عرشه وخلعه من الحكم بقدر ما كان يبكي وفاة زوجته الغالية التي لم تستطع امراة غيرها ان تمنحه الحب الذي منحته اياه ولم يستطع اي شيء في العالم ان يعوضه الحنان الذي افتقده بعد وفاتها وهي تضع له ابنه الرابع عشر.

ويعتبر تاج محل من اروع المهارات المتوفرة في عصره لبناء هذا الصرح العظيم. وقد تم جلب المعماريون والحرفيون إلى آكرا من بغداد ومن القصور العثمانية في تركيا وقدم مصممو الحدائق من كشمير والخطاطون من شيراز والحجارون والنحاتون وحرفيو الجص ومصممو القباب والبناؤون من بخارى والقسطنطينية وسمرقند.

ويقال انه تم إسناد مهمة التصميم الأساسية من قبل الإمبراطور شاه جيهان للمهندس التركي «عيسى افندي» والمهندس «محمد سيازي خان» الإيراني فوضعا تصاميم البناء، وأكثر المراجع تقول أن المهندس التركي «عيسى أفندي» كان المسؤول الأول عن تصميم المبنى ، أما «محمد خان» من شيراز و «عبد الغفار» من مولتان فكانا خطاطي المشروع.

فيما المسؤول عن النواحي الفنية والتصميم الداخلي كان قادر زمان خان من الجزيرة العربية. وبالفعل بدأ العمل في البناء عام 1631م وانتهى عام 1653م، وشارك في البناء حوالي 22 الفا من العمال والمهندسين، وبالداخل مسجد وقصر للضيافة استغرق بناؤهما خمس سنوات ، وطوال سنوات العمل البناء كانت الاستشارات والتعديلات شيئا متواصلا يجري يوميا.

بُني تاج محل من الرخام الأبيض النقي «marble» الذي تم استخراجه من محجر جبل «ماكراتا» والذي يبعد 563 كم «في إقليم راجستان»، تم استحضار الحجر الرملي الأحمر من دلهي كما أحضرت الحجارة الكريمة بالقوافل من كل أنحاء الأرض : اليشب من البنجاب والعقيق الأحمر من بغداد والفيروز من التيبت والملكيت واليشم والكريستال من تركستان وغيرها من اللؤلؤ والماس والزمرد والصفير... أكثر من أربعين نوعا من الأحجار الكريمة

وتم تزويد المبنى بثلاث بوابات رئيسية، وبالدخول عبر بوابة التاج الهائلة المبنية من الحجر الرملي الأحمر، يظهر على يمين البوابة غرف العمال والمهندسين الذين بنوا المكان، وفي أعلى البوابة الضخمة تطل الثنتان وعشرون «22» قبة صغيرة تشير لعدد السنوات التي استغرقها بناء تاج محل.

تاج محل كما يرى من القلعة الحمراء

#### بناؤه

بدأ بناء تاج محل سنة 1632م و انتهى من بناءه سنة 1653م و المهندس الذي صممه «في الغالب» فارسي اسمه «أستاذ احمد لاهوري». ويعتبر أحد أجمل المباني المشبعة بالطراز الإسلامي في الهند من حيث الروعة والزخرفة والتصميم الهندسي ، وأحد أجمل العناصر الاثرية في العالم ، والمصنف كإحدى عجائب الدنيا السبع.

وهو مبنى عملاق يتصب وسط مساحات شاسعة من الحدائق على ضفة نهر يامونا ، يشرف على مدينة «آكرا» الهندية ، مدينة أباطرة المغول والتي كانت عاصمتهم في ذلك الحين ، إلى أن قام الإمبراطور «شاه جهان» الذي حكم الهند قبل أكثر من 300 سنة بنقل العاصمة من «أكرا» إلى مدينة «دلهي» التي تبعد عنها حوالي 204 كم ، والتي غدت عاصمة الهند حتى يومنا هذا. ومع أن أشهر ركن في هذا الصرح التاريخي هو ضريح الزوجة «ممتاز محل» بقبته الرخامية البيضاء إلا أن هذا المجمع الضخم الذي يمتد على مساحة 42 فدانا يتضمن أيضا مساجد ومآذن ومباني أخرى ولبناء هذه التحفة المعمارية الفاتنة حرص شاه جيهان على استخدام أعلى الامكانه على تطور فن المعمار عند المغول حيث انه يجمع في تناغم جميل بين العماره الهنديه و الفارسيه الاسلاميه. وقد اعلنت اليونيسكو سنة 1983م ان تاج محل موقع تراث عالمي ووصفته بانه: «درة الفن الاسلامي في الهند و من اجمل نماذج التراث العالمي الفني و الذي يتفق الكل على روعته».

صورة رائعة لانعكاس تاج محل في الماء